بالغناء والعزف على المعازف كالعادة الجارية الآن حتى اذا تكامل عددهم وشربوا وتطيبوا جلسوا حول الموائد وقُدِّمَتْ لهم الوان الطعام لونًا لونًا تتخللها كؤوس الراح ثم انواع الفاكهة ولا سيما التين والعنب والتمر خضراء في ابانها ويابسة في غيرهِ او معقودة بالعسل . وكانوا يتناولون المرق بالملعقة وسائر الطعام بأصابعهم ولا يستعملون السكين الاَّ في تقطيع اللحم . واكثر معالقهم من العاج والعظم والخشب والنحاس وبعضها مموَّه بالذهب

ولم يكونوا يعرفون عمل الصابون فكانوا يغسلون ايديهم بعد الطعام بدقوق الترمس والظاهر ان كلمة ترمس العربيَّة مصريَّة الاصل . ومن الغريب انهم كانوا يصلُّون قبل الطعام وبعدهُ شاكرين الله على نعمهِ . ثم يقومون الى الغناء والرقص والطرب والتسلي بالالعاب المختلفة

وهذه الامور وامثالها واضحة في الصور المصريَّة القديمة التي كان الجهَّال والمحدودون يكسرونها ويبنون بيوتهم بها او يحرقونها كلسًا في ايام عبد اللطيف البغدادي ولم تعرف لها قيمة الاَّ بعد نبوليون الاول واهتمام اهالي اوربا بآثار هذه البلاد

الاستعداد للحرب ولا الحرب

اذا جمعنا ما تنفقهُ دول اوربا على جنودها البريَّة والبحريَّة في العام الواحد بلغ المجموع نحو ٢٠٠ مليون من الجنيهات . وهي تنفق هذه الاموال الطائلة لدفع غوائل الحروب والدفاع عن الاوطان . ولا تقتصر على انفاقها لكن عندها من الجنود المنظمة ثلاثة ملايين وثلث مليون من نخبة رجالها فاذا فرضنا ان متوسط دخل كلٍّ منهم اربعون جنيهًا في السنة لو تعاطوا الاعمال المختلفة كسائر الناس بلغ مجموع دخلهم كل سنة ١٣٢ مليونًا من الجنيهات . فممالك اوربا تخسر سنويًّا بتجنيد هؤلاء الجنود ٣٣٣ مليونًا من الجنيهات

لكننا اذا التفتنا الى اوربا بنوع عام لم نجدها آخذة في التقهقر والخسران بل بالضد من ذلك نراها تتقدم على الدوام ونجد مصنوعاتها تزيد عامًا بعد عام حتى لم تعد تجد اسواقًا تبيع بضائعها فيها فاضطرَّت ان تفتح ممالك آسيا وافريقية لهذه الغاية مما يدلُّك على ان تجنيد رجالها لم يؤخرها عن العمل بل لم يؤثر فيها تأثيرًا يشعر بهِ . وذلك لان فيها اكثر من ثلثمئة وثلاثين مليونًا فاذا كان عدد جنودها ثلاثة ملايين وثلث مليون

فهم جندي واحد من كل مئة نفس من السكان . ولا يكثر على مئة نفس ان يجندوا رجالاً ويستخدموا عدةً لحفظ الامن العام . وليس ذلك بالامر الكبير اذا قابلناهُ بحالة اوربا منذ مئة عام فان اكثر رجالها كانوا مضطرين حينئذٍ ان يتقلدوا السلاح للدفاع عن انفسهم واليوم لا نرى السلاح الاَّ مع الجنود . ونحن في القطر المصري جنودنا قليلة بالنسبة الى عدد السكان لانهم لو كانوا واحدًا من كل مئة نفس لبلغ عددهم سبعين الفًا وهم مع رجال الشرطة لا يبلغون الآن ٢٥ الفًا ولكننا نضيف اليهم الخفر ويضطر كثيرون من الاهالي ان يتقلدوا السلاح للدفاع عن انفسهم حتى لما طلبت الحكومة نزع السلاح من الاهالي قاومها نوَّابهم اشد المقاومة . فلو كان عدد الجنود والشرطة والخفر سبعين الفًا ولم يرَ احد من سائر الاهالي سبيلاً الى حمل السلاح لما كان ذلك شديد الوطأة عليهم بل كان اخف نفقةً وأدعى الى الطمأنينة

والرجل ينتظم في سلك الجنود في اوربا من السنة العشرين الى الثالثة والعشرين على الغالب وهو السن الذي يحتاج فيهِ الى التمرين العضلي والتدريب على الطاعة والانقياد فتكون الجندية خير مقوٍّ للابدان ومهذب للاخلاق . ونتائجها ظاهرة في ما نراهُ فيهم من عزة النفس واباءة الضيم وهو الاكثر ولا عبرة بما ذكرهُ جول سيمون من انتشار الامراض في الثكنات فانهُ الاقل

هذا ما يقال عن جنود اوربا بنوع عام . واذا خصَّصنا منها الدول الكبرى رأينا عبءَ الجندية ليس اثقل على كواهلها منهُ على القارة كلها فالنمسا تنفق على جنودها البريَّة اكثر من عشرة ملايين جنيه كل سنة وعلى جنودها البحريَّة مليونًا وتأخذ كل سنة مئة وعشرين الف شاب من رجالها للانتظام في الجندية وتبقيهم ثلاث سنوات ثم تحيلهم على الرديف ليبقوا فيهِ عشر سنوات اخرى . وكل رجل من رجالها من ابن ١٩ الى ابن ٤٢ جندي إما في النظام او الرديف او المستحفظ فاذا نشبت الحرب جمعت في ساحة القتل مليونًا و٧٥٣ الفًا ويبقى عندها اربعة ملايين من المستحفظ ولكن جنودها المنقطعين للخدمة العسكريَّة يبلغون واحدًا من مئة من شعبها لا غير

وايطاليا تنفق في السنة ثلاثة عشر مليونًا من الجنيهات على جنودها البريَّة والبحريَّة وتطلب من كل رجل من رجالها ان يكون مستعدًّا للدفاع عن وطنهِ فيبلغ عدد جنودها وقت الحرب نحو ثلاثة ملايين من النفوس ولكنهم وقت السلم ليسوا واحدًا في المئة من شعبها كلهِ

والمانيا تنفق واحدًا وعشرين مليونًا من الجنيهات على جنودها البريَّة ونحو اربعة ملايين ونصف على جنودها البحريَّة وتطلب كل رجل من رجالها للدفاع عن وطنه ومع ذلك لا يزيد عدد جنودها العاملين على واحد في المئة من شعبها

وانكلترا تنفق على جيوشها البريَّة والبحريَّة اكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات ولكن جيشها قليل جدًّا بالنسبة الى غيرها. ويتلوها فرنسا في سلسلة النفقات الصاعدة فانها تنفق على جيوشها البريَّة والبحريَّة نحو ٣٤ مليونًا من الجنيهات وكل رجل من رجالها من ابن عشرين الى ابن خمس واربعين يجب ان ينتظم في الجيش العامل او الرديف. ثم روسيا وهي تنفق على جنودها البريَّة والبحريَّة نحو ٤٥ مليونًا من الجنيهات وتفرز كل سنة ٨٧٠ الفًا من شبانها ترسل ٢٦٠ الفًا منهم للانتظام في الجندية والباقين للرديف ومع ذلك فجنود فرنسا وروسيا العاملون لا يزيدون على واحد في المئة من شعبها

وقد تقدم ان نفقات الجنود كلها بريَّة كانت او بحريَّة وما تخسره البلاد من انقطاعهم عن العمل يبلغ ٣٣٣ مليونًا من الجنيهات كل سنة فهذه نفقات حفظ الامن ومنع الحرب. وسكان اوربا يبلغون الآن ٣٥٨ مليونًا فكأن كل نفس منهم ينفق كل سنة اقل من جنيه على حفظ الامن ومنع الحرب. واين ذلك من نفقات الحرب لو نشبت فان فرنسا مثلاً خسرت بالحرب الاخيرة سبع مئة مليون من الجنيهات عدا ما خسرته من النفوس. وهذه الاموال لو وُزّعت على شعبها لاصاب النفس منهم ١٩ جنيهًا اي ان نفقات الحرب تزيد على نفقات السلم تسعة عشر ضعفًا. فلا تلام دول اوربا اذا انفقت غوائل الحرب بالاستعداد للحرب اي بتجنيد الجنود واعداد السلاح. لكن اذا امكنها ان تنفق على الاكتفاء بثلث جنودها كما اشار الكاتب الشهير جول سيمون كان ذلك من نعم الزمان عليها ومن مصائبه على غيرها. لانها تضطر حينئذ ان تصرف مليونين من جنودها وتساعدهم على فتح ابواب الرزق في ممالك آسيا وافريقية فيفدون علينا كالجراد يزاحموننا على خيرات بلادنا ويعرّضوننا للوقوع معهم في مشاكل سياسيَّة تنضي الى استيلائهم على ما بقي من هاتين القارتين. فاستعدادهم للحرب نافع لنا وغير ضارّ بهم. والظواهر كلها تدلُّ على انهم غير حائلين عن هذه الخطة في زمن قريب لكن لا يبعد ان يحولوا عنها بعد مدة من السنين